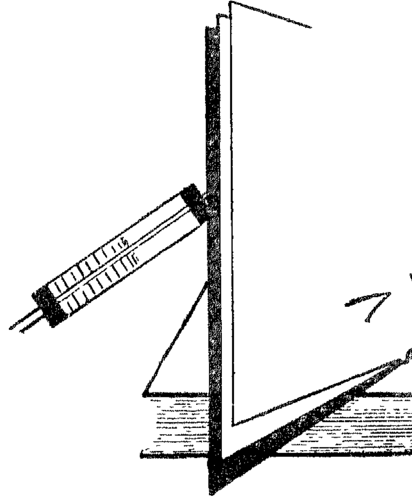


التعبئة الروحية فى الميثاق

على الجمبلاطى

اخترنا للطالب

التعبئة الروحية في الميثاق

بقلم
علي الجمبلاطي

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

من الميثاق الوطني

- إن القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان قادرة على هداية الإنسان وعلى إضاءة حياته بنور الإيمان وعلى منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة .

- إن رسالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثورات إنسانية استهدفت شرف الإنسان وسعادته . . وإن واجب المفكرين الدينيين الأكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته .

- على أنه يتعين علينا أن نذكر دائماً أن الطاقات الروحية التى تستمدها الشعوب من مثلها العليا النابعة من أديانها السماوية أو من تراثها الحضارى قادرة على صنع المعجزات .

- وإذا كانت الأسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمة فإن الحوافز الروحية والمعنوية هى وحدها القادرة على منح هذا التقدم أنبل المثل العليا وأشرف الغايات والمقاصد .

التعبئة الروحية فى الميثاق

معنى الروحية :

الروحية كلمة ترجع إلى (الروح) .. والروح هى قوى النفس التى توجه الإنسان فى اتجاه خاص وبالأخص فى اتجاه السلوك العملى والتصرف الخلقى . ولو تتبعنا كلمة (الروح) لوجدناها تستخدم دائماً فى مقابل (الجسم) ورغباته أو فى مقابل القوى الحيوانية التى للإنسان . وكأن الإنسان على هذا — مجموع نوعين من مصادر القوى : أحد هذين النوعين يحمله على السعى والكفاح فى سبيل البقاء الشخصى والنوعى . والنوع الثانى منهما يقوده فى ذات الطريق الذى تتميز به الإنسانية والذى يعبر السير فيه عن السلوك الإنسانى الخالص .

ومن أجل أن (الروح) مصدر التوجيه السلوكى فى الإنسان عنيت الفلسفة القديمة — كما عنيت رسالات الأديان السماوية — بها وبتوجيهها وكان مظهر هذه العناية يتجلى مرة فى الحث على ممارسة الرياضة النفسية حتى لاتخضع النفس لسلطان البدن ورغباته ويتجلى مرة أخرى فى تنوير الإنسان بقيم الحياة الإنسانية كحياة

يسود بها الإنسان على ما عداه . وكذا بتنويهه بقيم ما عدا هذه الحياة مما يسمى بالحياة المادية . وحينئذ عرف فى تاريخ الحياة العملية للإنسان اتجاه المتصوفة والنساك كما عرف فى تاريخ الفكر البشرى ما يسمى بالفلسفة الأخلاقية وفى ثقافة المجتمع الإنسانى ما يسمى بالتوجيه الدينى .

والتصوف والفلسفة الأخلاقية والتوجيه الدينى جميعها مصادر لإيقاظ الإنسان فى أن يكون سلوكه إنسانيا أو روحيا وإذن (الروحية) و (الإنسانية) سواء فيما تهدف إليه كلتاهما ولا نقصد بالروحية أو الإنسانية سوى أن يكون الإنسان فى صفاء مع نفسه ومع غيره فى مجتمعة بحيث لا تطغى عليه قواه الأخرى وهى القوى الحيوانية فيه .

التعبئة :

وكلمة (التعبئة) معناها الشحن ، والتعبئة الروحية إذا معناها شحن الروح بالتوجيه الإنسانى أو على الأقل : تهيئتها وإعدادها لأن تسير فى طريق السلوك الإنسانى لتحقيق القيم الإنسانية الفاضلة ومخاطبة النفس ودعوتها كى يبقى لها الطابع الإنسانى فى تفكيرها وفى سلوكها سلوكا فرديا أو جماعيا . والقيم الإنسانية هى المبادىء العليا التى تحقق حياة السلم والاستقرار فى نفس الفرد وحياة الإخاء والتعاون فى المجتمع الإنسانى ، هى مبادىء الحرية والعدل

والمساواة والتعاطف والمحبة وكل مايسميه الأخلاقيون فضائل فردية أو جماعية وكذلك كل ما يأمر به الدين أو يستحسن فعله من الإنسان .

فإذا تضمن توجيه الإنسان هذه القيم ودعا إليها كان ذلك تعبئة روحية ، وإذا قامت التربية بتوجيه الإنسان إلى تلك القيم الإنسانيةالتى قد تسمى بالقيم الأخلاقية أو الروحية، وإذا تكونت عادات الناشئة على احترام هذه القيم وتقديرها كان ذلك كله تعبئة روحية .

وأعتقد أن مجتمعنا اليوم أصبح ذا وعى قوى بضرورة التعبئة الروحية فنهضة أى مجتمع يحاول أن يتخلص من مصـــادر الضعف الاقتصادى والسياسى ، ويحاول أن يحقق له فى مقابل ذلك وضعا قوياً فى مجالى الاقتصاد والسياسة — لابد أن يعنى بمجال (الروح) أو بالتعبئة الروحية . لأن اقتصاد أى مجتمع لايزدهر إلا إذا قام على تعاون وثيق بين أفراده ولا يدفع إلى هذا التعاون الوثيق فى مجال الاقتصاد إلا إدراك أفراده لقيم الإخاء والمساواه والترابط ، وإلا إيمانهم بهذه القيم والسعى إلى تحقيقها .

قد يحمل القانون على التعاون فى هذا المجال بحكم مايصاحب هذا القانون من سلطة تنفيذية، ولكن سيبقى هذا النوع من التعاون متخلفاً فى نتائجه عن ذلك النوع الآخر القائم على الإدراك والإيمان والسعى الذاتى لدى الأفراد .

وإن سياسة أى مجتمع داخلية أو خارجية لا تنجح نجاحا واضحاً إلا إذا ارتبطت بما لدى الأفراد من شعور قوى بالإخاء والمساواة والعدل والحرية أى إلا إذا ارتبطت بالقيم الإنسانية وبالتالى إلا إذا ارتبطت بالمعانى الروحية وقد تسير السياسة خطأ فى طريقها بدافع القانون ولكن شتان بين دفع القانون وذلك الدفع الذى أسس على شعور ذاتى بين الأفراد .

وإن الوضع فى أية نهضة وفى أى مجتمع يتصل اتصالا وثيقا بالطاقات النفسية فلكى تكون نهضة المجتمع نهضة ذاتية يجب أن تنبثق عن توجيه طاقات النفس .

وإننا بعد قيام الثورة المصرية الكبرى كان من الضرورى أن يعقب قيامها برنامج ضخم للتخطيط والتصنيع تتكافأ ضخامته مع مافاتنا خلال السنين الطويلة التى رزحنا فيها تحت نير الإقطاع والاستعمار والفساد وكان المحتوم والثورة من الشعب وللشعب ضد أعدائه أن يتجه الباحثون إلى حماية هذه الثورة وإلى تحمل جميع الأعباء التى تفرضها لمصلحة المجتمع ولمصلحة الفرد فى تنفيذ برنامجها المرسوم . ولكن تنفيذ هذا البرنامج المأمول كما يحتاج إلى قوة بشرية كبيرة فإنه يحتاج أيضاً إلى طاقة روحية أكبر تدعم كيانه وتصون بناءه وتهب له القوة اللازمة للنجاح وتمده بالكفاية الضرورية للتنفيذ . وهذه الطاقة الروحيه التى لابد منها إنما مبعثها

فى الحقيقة هو الإيمان . الإيمان الذى يكشف للإنسان حقيقته وحقيقة الكون ويمد بصيرته بالنور . وهذا الإيمان الذى نشير إليه هو الأساس لكل إيمان . هو الأساس لإيمان الإنسان بنفسه و بوطنه وبجميع الحقائق الشريفة التى وصل إليها العقل البشرى فى جميع العصور والأجيال وإنما كان كذلك لأنه مصدر لجميع الأفكار الإنسانية التى وصل إليها الإنسان فى حياته منذ البداية كالعدل والشرف والإباء والتضحية ولأنه خالق للأمل الذى بدونه تصبح الحياة عبثاً لايطاق وهذا هو الذى لم يستطع الماديون أن يدركوه فأخطئوا النظر إلى الإنسان وحسبوه آلة تسيرها القوانين الميكانيكية وما هو كذلك فالإنسان فى الواقع قوة روحية ضخمة . قوة تكمن فى نفسه لا تستطيع أن تقف أمامها أى قوة مادية مهما بلغت وهذا هو سر تفوقه وسر بقائه ومجتمعنا الذى تبنيه الثورة وتخطط له حياته وتدعم له مستقبله بهذه الانتصارات الضخمة فى شتى الميادين مجتمع يحكمه الإيمان بالقوة المسيطرة على كل شيء والمدبرة لكل شيء والإيمان بالإنسان كقوة روحية هائلة ، هو مجتمع لاتحكمه إلا الأفكار المنبعثة عن هذا الإيمان الروحى مجتمع وجد نفسه وعرف حقيقته وأرسى قواعد حريته لأنه يريدها وهو صاحبها ولأنه بدونها لا يبدع ولا يشق طريقه إلى الغد المنتظر فى كفاءة وشجاعة .

الإيمان كقوة روحية هائلة يمدنا بالقوة الضرورية لبناء مجتمعنا على أسس اشتراكية ديمقراطية تعاونية ووشائج الايمان فى نفس مجتمعنا راسخة رسوخ الجبال .

منزلة الدين فى مجال التعبئة الروحية :

وإذا عرفت البشرية والمجتمعات الإنسانية مذاهب التصوف ، ومذاهب الفلسفة الأخلاقية ورسالات الأديان السماوية كمصدر لتوجيه الروح توجيهاً إنسانياً يقوم على تحقيق أخص ما للإنسان فى حياته وهو ماله من قيم — فإن الدين من بين هذه المصادر كلها له الصدارة والمنزلة الأولى . وسبب ذلك أن الرياضة النفسية التى تطلبها مذاهب التصوف المختلفة شيء محمود فى ذاته ولكن ممارسة هذه الرياضة ليست فى استطاعة كل فرد بل إنها ليست فى استطاعة أكثر الناس . ومن ثم فالاستجابة لها تكون استجابة محدودة .

وأما المذاهب الفلسفية الأخلاقية فإنها وإن كانت تدعو إلى الفضائل وتحقيق المثل العليا فى حياة الإنسان . فإنها فيما بينها متفاوتة ومختلفة : سواء فى تحديد هذه الفضائل أو فى تحديد تلك القيم فمثلا الميكيافيلية ومذهب المنفعة يعدان من المذاهب الأخلاقية الفلسفية .

وهنا يكون الدين — لأنه رسالة السماء — مصدر التوجيه

الذى ارتفع عن غلو مذاهب التصوف ، وعن تفاوت واختلاف مذاهب الفلسفة الأخلاقية .

ومن أجل هذا نرى فى تاريخ المجتمعات الإنسانية اقتران الدين بالروحية ونرى ارتباطاً بينهما — وإذا فاق الدين الآن مذاهب التصوف والفلسفة الأخلاقية فى توجيه الروح وفى الإيمان بالقيم الإنسانية والسعى إلى تحقيقها فالتعبئة الروحية يجب أن تكون مستوحاة من توجيهات الدين وتعاليمه كما توحى بها مصادر الدين نفسه فى سلامتها وفى وضوحها والدين كما نعلم ضرورة فردية وضرورة اجتماعية وهو دفع إلى تكوين الحضارة الإنسانية وإلى بقائها ، إذ الحضارة الإنسانية ليست تقدما فى الآلة والمصنع وإنما هى تقدم فى الخصائص الإنسانية . الحضارة الإنسانية ثمرة الإنتاج الإنسانى وليست ثمرة الآلة . وليست الآلة إلا فى خدمة الحضارة الإنسانية ولكنها ليست من مقوماتها .

والمجتمع بدون تعبئة روحية مجتمع يسائى . وتعبئة روحية بدون دين مجدب غير منمرة .

الميثاق :

لقد كان الرئيس المفدى جمال عبد الناصر موفقا كل التوفيق حينما اختار لفظ الميثاق ليجعله عنوانا على المبادىء العليا التى أراد أن يرتبط بها ، وأن يربط بها جميع أفراد الأمة ذلك بأنه يريدها

عهداً وميثاقا يعاهدون الله عليه وتتلاقى عليه قلوبهم وألسنتهم وأعمالهم وتصدر عنه قوافلهم الإصلاحية التقدمية فى السياسة والفكر والاجتماع والاقتصاد والعمل والسعى والعلاقات الخاصة والعامة فى البلاد وخارجها وقد قدم رئيسنا الملهم إلى شعب الجمهورية العربية المتحدة وإلى الشعوب العربية والأسيوية والإفريقية وسائر شعوب العالم ميثاقنا الخالد الذى سينير الطريق أمامنا ويسهم فى تطوير النهضة الاجتماعية للانسانية كلها والميثاق حين يتولى تحديد القيم والمفاهيم للمجتمع الجديد فهو يمثل نقطة انطلاق ثورية للمستقبل وهو وقفة على الطريق الثورى الطويل يتجمع فيها الشعب على نفسه ليبلور فلسفته ويصوغ مكاسبه ويضع الصمامات الأساسية لها ثم لينطلق بعد ذلك فى ضوئها إلى أهدافه البعيدة ولذلك لم يتضمن الميثاق إلا الأصول والكليات العامة .

التعبئة الروحية فى الميثاق :

ولقد أدرك قائدنا العظيم وباعث نهضتنا الرئيس جمال أن العالم يجتاز أزمة حضارية يشترك فى الاكتواء بنارها الشرق والغرب على حد سواء وقد تمثلت أزمة هذه الحضارة فى ذبول العنصر الروحى فيها وطغيان العنصر الوثنى وإذا بالتقدم العلمى والصناعى الهائل الذى دفعت إليه هذه الحضارة يتم كله بمعزل عن الجوانب الروحية للانسان كما أدرك أن أهم رسالة للشبيبة الواعية تقوم بها

فى فترة تجميع طاقات الانطلاق التى نشهدها اليوم — هى العودة إلى تراثنا الروحى تتعمقه وتستلهمه وما لم توجه العناية الكافية إلى إصلاح نفوس هذه الشبيبة وملء فراغها بطاقات الخير ، وما لم تؤهل تأهيلا جديا لحمل هذه الأمانة الكبيرة فلن يتم إصلاح جدى قادر على البقاء والاستقرار . لكل هذا كان اتجاه الميثاق إلى إبراز القيم الروحية المنبثقة عن الأديان ورسالات السماء فى جوهرها الصافى فهى قادرة على هداية الإنسان وإضاءة حياته بنور الايمان .

ولقد كان معلم الثورة رائدنا العظيم عبد الناصر على يقين من أنه لكى نتقدم لابد من الاتصال بماضينا ، وماضينا هو ديننا وهو شريان حياتنا وهو قوتنا وعزتنا لأن فى هذا الدين كل عناصر الحياة المتجددة القويمة الفاضلة فكان منا كما قال رسول الله عليه السلام (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة رجلا يجدد لها أمر دينها) وتجدد الحقائق الدينية هو إبداؤها قوية واضحة تنير السبيل وهكذا فعل رئيسنا جمال فى ميثاقه العظيم وسلك لذلك سبيلين :

السبيل الأول : قد برز فى أنه لمس حقيقة الأديان وجوهر رسالتها وأنها قبل أن تكون نصوصاً إنما هى (روح) من الله لا روح تحيا بها الأبدان ونحوها بل روح تهب الإنسان (طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة) وأن حياة الإنسان هى حقيقته الباطنة حياة المبادىء والمثل لا حياة بدنه الذى يغدو ويروح

بين الناس وأن الوجود المعنوى لا الجثمانى أو (الحقيقة الإنسانية) ليست شيئاً من قبيل المادة وإنما هو مجموع المثل الفاضلة والصفات الكريمة والمبادىء الروحية التى يجب أن تحكم حياته وتصرف إرادته . لمس كل ذلك فاتخذ هذا سبيله الأول للتعبئة الروحية فى الميثاق ويتضح هذا فى أن الميثاق من أوله إلى آخره تقويم صالح لروح الشعب عبر التاريخ من أقدم العصور إلى اليوم ثم هو يرصد ما يكون من أمر ذلك الروح فى المستقبل من تغييرات ثورية يعبر بها عن مشيئته وهو يمجد روح ذلك التاريخ وتفاعله مع ماحوله وما أفاض عليه الإسلام وبث فيه من بصائر النور وطاقات الحياة والقوة فيقول فى الميثاق (وهى — أى مصر — لم تعش حياتها فى عزلة عن المنطقة المحيطة بها بل كانت دائماً بالوعى — وباللاوعى فى بعض الأحيان — تؤثر فيما حولها وتتأثر به كما يتفاعل الجزء مع الكل وتلك حقيقة ثابتة تظهرها دراسة التاريخ الفرعونى صانع الحضارة المصرية الإنسانية الأولى وكان الفتح الإسلامى ضوءا أبرز هذه الحقيقة وأنار معالمها وصنع لها ثوبا جديدا من الفكر والوجدان الروحى) وهذا التقويم الواضح الراشد لروح الشعب فى فرعونيته وإسلامه والتنويه بفضل الإسلام فى تزكيته وإعلائه يجعلنا نلهج بالثناء حين يمضى الميثاق فى تقويم الدور الرائع الذى أداه ذلك الروح فى إطار مناهج الاسلام فيجعله أعظم الأدوار على الاطلاق كما نص الميثاق (وفى إطار التاريخ الاسلامى وعلى هدى

من رسالة محمد — صلى الله عليه وسلم — قام الشعب المصرى بأعظم الأدوار دفاعا عن الحضارة الانسانية وقبل أن ينزل ظلام الغزو العثمانى على المنطقة بأسرها كان شعب مصر قد تحمل ببسالة منقطعة النظير مسئوليات حاسمة لصالح المنطقة كلها) فإذا جثم الظلام بالغزو العثمانى اضطر الروح الضخم أن ينطوى على نفسه يجمع طاقاته فى انتظار الفرصة التى يستأنف بها عمله الإيجابى تاركا للمستعمر وأعوانه أن يظنوا به الاستسلام أو الفناء وهذا يصدق على أيام محنتنا بأسرة محمدعلى والاحتلال وفى هذا يقول الميثاق (ومن عجب أن هذه الفترة التى ظن فيها الاستعمار والمتعاونون معه أنها فترة الخمود كانت من أخصب الفترات فى تاريخ مصر بحثاً فى أعماق النفس وتجميعاً لطاقات الانطلاق من جديد . لقد ارتفع صوت محمد عبده فى هذه الفترة ينادى بالإصلاح الدينى) وبعد أن نرى تقويم الميثاق للدور الرائع الذى أداه روح الشعب الخلاق المبدع فى إطار مناهج الإسلام نرى ضمير الثورة المؤمن يقدس الدين ويؤمن به كله ويأبى أن تكون الثورة حركة علمانية لا ترتبط بدين ولا ترتكز على عقيدة وهنا نرى الميثاق ينظر إلى الأديان النظرة التى تستصفى الروح وتستخلص الجوهر فهو روح وقيم وثورات . جوهر إيجابى لا يتصادم مع حقائق الحياة وهذا ضمير الثورة المؤمن فى الميثاق (يوجب للعقيدة الدينية قداستها فى حياتنا الجديدة الحرة) ويهيب فى قوة أن تجعل (واجب المفكرين الدينيين الأكبر هو الاحتفاظ

للدين بجوهر رسالته) وإننا لنحمد لثورتنا المؤمنة هذه النظرة السامية للدين فى عصر يعلن فيه قادة الثورات الملحدة أن الدين سبب التخلف والجمود بل يصفونه بأنه مخدر للشعوب ولكن قائدنا المؤمن يعلن فى الميثاق (أن قيم الدين قادرة على منح الإنسان طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة) كما يعلن (أن رسالات السماء كلها فى جوهرها ثورات إنسانية استهدفت شرف الإنسان وسعادته) وذلك لأنه لمس حقيقة الأديان وعلم أن الدين روح قدسى وفى الانسان روح قدسى فإذا التقى وحى السماء بالسر المضمر فى كيان الانسان نشأت الطاقات التى لا حدود لها (فى مثل الحق والخير والمحبة) وكذلك يقرر الميثاق (أن جميع الأديان ذات رسالة تقدمية) ثم لا نلبث أن نرى فى الميثاق أثر الدين فى تحويل الانسان إلى طاقة إيجابية تبدع أو تنتج للإنسانية أفضل مثلها وقيمها كما أسلفنا فيقول الميثاق (إن القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان قادرة على هداية الانسان وعلى إضاءة حياته بنور الايمان وعلى منحه طاقات لا حدود لها من الخير والحق والمحبة) وبعد أن يشير الميثاق إلى الثورية والتقدمية فى رسالات السماء وأنها لا تتصادم وحقائق الحياة يقرر أنها دستور لحقوق الانسان فى الحياة والحرية والفرص المتكافئة إذ يقول (إن جوهر الأديان يؤكد حق الانسان فى الحياة وفى الحرية بل إن أساس الثواب والعقاب فى الدين هو فرصة متكافئة لكل إنسان . إن كل بشر

يبدأ حياته أمام خالقه الأعظم بصفحة بيضاء يخط فيها أعماله باختياره الحر ولا يرضى الدين بطبقة تورث عقاب الفقر والجهل والمرض لغالبية الناس وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم) ولقد جاء الميثاق وليدأ لمجتمعنا الاشتراكى الديمقراطى التعاونى الذى يؤكد العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص أمام الشعب بمختلف طوائفه وهيئاته ولقد أكد فى طياته أسسا سليمة حتى يمكن للمجتمع أن يحققها وفقاً للتخطيط الاشتراكى المنبعث من احتياجاتنا وكياننا وتاريخنا وديننا ولقد أشعر الميثاق كل فرد بأنه استعاد حقه فى حياة كريمة يمكن أن يرسى جذورها بنفسه ليحقق آماله وأمانيه فى الحياة (وأن الله جلت حكمته وضع الفرصة المتكافئة أمام البشر أساساً للعمل فى الدنيا والحساب فى الآخرة) وتأكيداً لهذا الأصل الدينى العام كان طبيعياً أن يؤكد الميثاق أساساً لبناء المجتمع الجديد (أن حرية الانسان الفرد هى أكبر حوافزه على النضال وأن حرية كل فرد فى وضع مستقبله وفى تحديد مكانه من المجتمع وفى التعبير عن رأيه وفى إسهامه الإيجابى فى قيادة التطور وتوجيهه بكل فكره وتجربته وأمله ، هى حقوق أساسية للإنسان لا بد أن تصونها له القوانين) وعلى قدر هذا الإيمان بالقيمة الذاتية للإنسان الفرد بحريته وبقدرته على دفع التطور كان تصوير الميثاق لفلسفتنا الذاتية فى الاشتراكية الديمقراطية وكان مدخلنا الرئيسى لهذه الفلسفة الذاتية عقيدتنا فى أنه (لا حرية للفرد بغير تحريره أولا من

براثن الاستغلال بكل صوره) وهو ما يجعل الحرية الاجتماعية حسبما أكد الميثاق بحق مدخلا إلى الحرية السياسية بل هى مدخلها الوحيد فليس مما ينكر أن ضمان رغيف الخبز أمر لا بد منه لحرية تذكرة الانتخاب .

وإن هدف الثورة الأسمى الذى ثبتت النظر عليه هو إعداد الشعب بأسره لرسالة السلام وإبداع الخير وفى ذلك يقول الميثاق (إن شعبنا يعيش ويناضل من أجل المبادىء السامية .. إن شعبنا قد عقد العزم على أن يعبد صنع الحياة على أرضه بالحرية والحق والكفاية والعدل بالمحبة والسلام) وإذا جعل غيرنا ضرورة الاقتصاد غاية جهده فغايتنا الإنسانية تجعل لنا فى فهم الاقتصاد وجها آخر يقرره الميثاق فى قوله (وليس العلم للمجتمع عقبة تفرض على العلماء أن يلتزموا بمشاكل الخبز المباشرة وحدها .. إن ذلك يصبح تفسيرا ضيقاً لرغيف العيش الذى نريده) وعلى قدر ماأشاد الميثاق بالأدوار الثورية التى اعتمدت على الوسائل الحسية لتنظيم مجتمعنا عاد يقرر (وإذا كانت الأسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمة فإن الحوافز الروحية والمعنوية هى وحدها القادرة على منح هذا التقدم أنبل المثل العليا وأشرف الغايات والمقاصد) وهناك نزعات سطحية يغذيها الغرور بأخلاط مشوشة من الثقافات الأجنبية وما تلقفت من قشور المذاهب المنحرفة مما جعل الثورة

تجرد العزم لصيانة ضمير الأمة مما عسى أن يلقيه فيه أصحاب هذه النزعات وما يتسلل فى نفوس الشعب من المآثم وذلك بتزييف الأهداف أو غموضها أو تقريب مداها فى لقمة العيش التى يتعجلونها وهنا يذوى الوجود الروحى فى الضمائر وهى جناية على الضمير الإنسانى وعلى الانطلاق القومى الذى لايجديه إلا أن ينبعث عن طاقات حافلة لا عن طاقات آلت إلى فراغ لاغناء فيه وفى هذا يقول الميثاق (إن تحريك طاقات الشعب إلى العمل لايجب أن يتم عن طريق إغراق الجماهير فى الأمل .. إن التغيير الكبير بطبيعته يصاحبه تطلع بعيد المدى إلى الأهداف المرجوة من النضال وليس من حق فى هذه المرحلة أن نخدع الجماهير بالمنى) ويصف الميثاق تلك النزعات الطائشة بأنها (مراهقة فكرية) ويعلن أنها (خطر ينبغى التصدى له والقضاء عليه فإن الذين يجمدون الكفاح الوطنى بتفسيرات تحد قدرته على الانطلاق إنما يقللون من قدرة المجتمع بقدر ضعفهم .. إن التقدم الوطنى لايحققه كلمات محفوظة عالية الرنين ليس هناك شعب يستطيع أن يبدأ تقدمه من فراغ وإلا كان يتقدم إلى الفراغ ذاته) ومن هنا يتضح أن سبيل التقويم الصادق للعمل الثورى أن ترد تلك الأعمال إلى المسار الذى لايختلف ذوو البصائر على اعتماده وهو الغاية . وإننا نقرر أن ضمير الشعب النقى المؤمن إذ ألهم طلائعه الثورية حقيقة الغاية التى أعدلها الإنسان .

إنما ألهمها أشرف غاية فى الوجود . وفى هذا يقول الميثاق (لقد كان هذا الشعب العظيم هو المعلم الأكبر الذى راح يلقن طلائعه الثورية أسرار آماله الكبرى) وإننا لانشك وقد استهدت الطلائع الثورية ضميرها القومى المؤمن أننا سائرون إلى مجتمع أصيل يرسى بناءه على قواعد من الإيمان كما يقول الميثاق (إن شعبنا يملك من إيمانه بالله وإيمانه بنفسه ما يمكنه من فرض إرادته على الحياة ليصوغها من جديد وفق أمانيه) وإننا لندرك فى كل المناسبات التقدمية أن ضمير الثورة يتخذ من الإيمان بالدين وما يمنح الشعوب من طاقات ملاذه ومرفأ النجاة فعندما أشار الميثاق بدور العلم فى نهضتنا بدأ يؤكد ضرورته لنا بقوله (إن العمل الثورى لابد له أن يكون عملا علميا وإذا تخلفت الثورة عن العلم فمعنى ذلك أنها مجرد انفجار عصبى تنفس به الأمة عن كبتها الطويل دون أن تغير من واقعها شيئاً) ويمضى فى بيان مكان العلم فى حاجتنا إليه ذاكرا فى أسف ما كان من تفريط فى الماضى وينتهى بصيحة مصممة (إننا لانستطيع أن نتقاعس لحظة عن الدخول منذ الآن فى عصر الذرة) حتى إذا اطمأنت المراهقة الفكرية بدعوتنا إلى العلم المادى أخذهم الميثاق بهذه الدعوة المفاجئة فى قوله (على أنه يتعين علينا أن نذكر دائما أن الطاقات الروحية التى تستمدها الشعوب من مثلها العليا النابعة من أديانها السماوية أو من تراثها

الحضارى قادرة على صنع المعجزات . . إن الطاقات الروحية للشعوب تستطيع أن تمنح آمالها الكبرى أعظم القوى الدافعة كما أنها تسلحها بدروع من الصبر والشجاعة تواجه بها جميع الاحتمالات) وهى ليست مجرد تقرير نظرى أو مجاملة عابرة للمؤمنين بالأديان وبالقوى الروحية وإنما هى تحدد فى وضوح غاية الحياة وموازين التقدم فى ظل نظامنا الجديد ذلك أن السعى لتحقيق الرخاء المادى قاسم مشترك بين الفلسفات جميعا وموضع تلتقى عنده النظم السياسية والاقتصادية على اختلاف صورها النظرية وأساليبها فى التطبيق وإنما الذى يميز الحضارة العربية الإسلامية عن هذه النظم والفلسفات إنما هو تحديدها لقيمة الحياة وتقويمها الخاص للجهد الإنسانى تقويما يعتمد على النية المصاحبة له وهو التقدير الذى يرشد إليه قوله تعالى (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين) وكما كان الميثاق واضحا فى تحديد رسالة الأديان فى بناء النهضة المصلحية فقد كان أمينا فى تسجيل دورها فى تحقيق ما تم من ثورة إصلاحية فقرر أن هذا العمل العظيم قد تحقق بفضل عدة ضمانات يتوجها جميعا (إيمان لا يتزعزع بالله وبرسله ورسالاته القدسية التى بعثها بالحق والهدى إلى الإنسان فى كل زمان ومكان) .

ولقد جاء الميثاق واضحا فى تحديد معالم الاشتراكية العربية التحديد الذى يرفع كل لبس حول حقيقتها ثم جاء السيد الرئيس

جمال عبد الناصر فأكد عمق الفوارق التى تميز اشتراكيتنا العربية عن الاشتراكية الماركسية فى النظر والتطبيق جميعا ولا نشك لحظة فى أن الإسلام بعقيدته وفلسفته الأخلاقية وشريعته قدكان وسيظل دائما وراء هذه الاختلافات الرئيسية وترجع إلى أمور ثلاثة :

١ — الأمر الأول يتصل بإيمان الفلسفة التى قام عليها الميثاق بالله تعالى وكتبه ورسله وإيمانها بالقوى الروحية فى الإنسان باعتبارها قوى أصيلة موجهة لا قوى تابعة ولا محكومة ومعروف أن الفلسفة الماركسية تقوم على التفسير المادى المطلق من جهة ولحاجز العلاقات الاجتماعية والاقتصادية من ناحية أخرى .

٢ — الأمر الثانى يتصل بجوهر النظام الاقتصادى وهو الحق فى الملكية الفردية فبينما تقوم الاشتراكية الماركسية على محاربة الملكية الفردية لوسائل الإنتاج كلها نرى الميثاق يقرر صراحة (أن سيطرة الشعب على كل أدوات الإنتاج لا تستلزم تأميم كل وسائل الإنتاج ولا تلغى الملكية الخاصة ولا تمس حق الإرث الشرعى المترتب عليها) ثم يقرر فى صراحة أن (المواجهة الثورية لمشكلة الأرض فى مصر كانت بزيادة عدد الملاك) كما يعود فيؤكد ضرورة وجود قطاع خاص إلى جوار القطاع العام ملاحظاً أن (استمرار دور القطاع الخاص بجانب القطاع العام يزيد من فعاليات الرقابة على الملكية الشعبية العامة ويقوم بدور عامل منشط

لها) ولا شك أن الميثاق فى تقريره أصل الملكية الفردية على هذا النحو كان خاضعاً لما تمليه روح الإسلام فموقف الإسلام من الملكية الفردية لا يحتمل التأويل والله تعالى يقول (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) ويفيض فى الاعتراف بملكية الأرض مع إلزام مالكها بأداء حقها من الزكاة أو الضريبة فالملكية الفردية فى الإسلام حرمة لا يقيدها إلا ما يقيد الحقوق كلها من ضرورة رعاية حق الله فيها قال تعالى (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) .

٣ ــ الأمر الثالث الذى أسهم الإسلام فى تحديد موقف الميثاق منه هو نظرته إلى الصراع بين الطبقات فالاشتراكية الماركسية تعتبر هذا الصراع بين الطبقات القوة الدافعة الكبرى ثم هى فى علاجها لهذا الصراع لا تتبع أسلوبا سلميا يقرب بين الطبقات أو يمنع ظلم إحداها لسائرها والقرآن يتحدث كثيرا عن طبقة «المترفين» فى المدن والقرى التى أرسل إليها الأنبياء والمرسلون ويشير إلى ذلك الصراع بقوله (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) وإنما يظهر الفارق الحاسم بين الإسلام والماركسية فى علاج الإسلام للظلم الاجتماعى الذى يؤدى إليه استبداد طبقة من الطبقات فبينما تحارب الماركسية الظلم بالظلم وتحرك لذلك أحقاد الطبقة المظلومة تمهيدا لإعلائها الطبقة المنتصرة الظالمة نرى الإسلام

فى اعتدال وروح مسالمة بناءة يعلم المظلومين أن الظلم لا يحارب إلا بالعدل وقد أعلن النبى مبدأ العدل الإسلامى فى ذلك بقوله تعالى (فإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) وتأثرا بهذه الروح الإسلامية المسالمة جاء الميثاق مقررا أن الطريق الاشتراكى الذى سارت فيه البلاد يتيح الفرص (لحل الصراع الطبقى سلميا) ويتيح بذلك (إمكانية تذويب الفوارق بين الطبقات) كما أكد فى وضوح أنه جاء (لتذويب الفوارق بين الطبقات وإنهاء سيطرة الطبقة الواحدة) فسبيل الاشتراكية العربية إذن هو إنهاء سيطرة الطبقة الواحدة أى طبقة وليس استبدال ظالم بظالم أو طبقة ظالمة بأخرى .

ولعل فيما قدمناه عن اشتراكيتنا العربية خير تمهيد للحديث عن السبيل الآخر الذى سلكه باعث تراثنا الروحى وحضارتنا الاسلامية الرئيس جمال فى التعبئة الروحية فى الميثاق .

السبيل الآخر : إنه أدرك أن الاسلام الحنيف بما رسمه لمجتمعه من حدود ومبادىء لاصلاح الفرد وتوجيهه إلى أسمى المعانى النفسية والخلقية باعتباره اللبنة الأولى فى بناء المجتمع ثم رسم من المبادىء والتعاليم ما يعمق فى نفسه الشعور الدينى ويقوى لديه الإحساس بالكرامة الانسانية فيتجه بحبه ومشاعره إلى الجماعة يعمل فيها ويتفاعل معها تفاعلا إيجابيا بناء . لمس هذا فى الدين القيم

فأقام دعوة الميثاق الوطنى فى جوهرها وآمالها وأهدافها على دعوة الاسلام وجعل قيمه العليا تلتقى مع القيم الانسانية التى ننشدها فى مجتمعنا الاسلامى فاتخذ سبيله الآخر للتعبئة الروحية فى الميثاق المطابقة بين كتاب الله وسنة رسول الله عليه السلام وبين دعوة الميثاق لتستقر هذه الحقائق فى يقين الناس على أساس من الثقة بالكتاب العزيز والحديث الشريف ولتجد به الضمائر زادها الذى تحيا به وتبصر حقيقة الحياة .

وهذه هى المبادىء الستة المشهورة التى أتت بها الثورة لمواجهة ماكانت عليه حالنا قبل الثورة وكلها من صميم تعاليم الدين القويم ولها من كتابه إسناد وإسناد وقد نوه الميثاق عن هذه المبادىء فى بابه الأول :

١ — (فالقضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة المصريين) هو صدى لما يطلب الإسلام لأهله من العزة قال تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) ويندد بأعوان الاستعمار واتخاذ اليد عند الأعداء فى قول الله (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا) .

٢ — (أما القضاء على الاقطاع) فإن الإسلام لا يرضى عن الكسب إلا إذا كان مشروعا ومن موارد طيبة لامن الاستغلال

والكسب غير المشروع كما كان يفعل الكثيرون من أصحاب الملايين قال تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) وقوله جل شأنه (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) .

٣ — (والقضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم) هو مبدأ الإسلام فى النهى عن الاحتكار وأن المحتكرين مطرودون من رحمة الله ولا يرضى بأن يكون للمال سيطرة على الحكم قال تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون)

٤ — (أما إقامة عدالة اجتماعية) فهى أمر الاسلام بإقامة العدل قال تعالى (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) ويجمع بين العدل فى الحكم والعدل بين أفراد المجتمع فى حياة قوامها الاحسان والبر والتضامن الاجتماعى قال تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى)

٥ — (أما إقامة جيش وطنى قوى) فهى استجابة لدعوة الدين الحنيف بإعداد القوة فى كل جانب من جوانب الدولة ومن أولها الجيش المدافع عن البلاد قال تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)

٦ — (وأخيراً إقامة حياة ديمقراطية سليمة) وهى مبدأ الإسلام فى الدعوى إلى الشورى وإقامة الحكم على أساسها فيصف المؤمنين بقوله تعالى (وأمرهم شورى بينهم) ويأمر الرسول الكريم بقوله (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر) هذه هى المبادىء الستة التى قامت على أساسها الثورة المباركة والتى سجلها الميثاق ارتباطاً مع الأمة عليها ثم يتحدث الميثاق بعد ذلك عن القدرات الثلاث التى يجب أن تسلح بها الثورة نفسها لتصمد لمعركة المصير التى تخوض غمارها وهذه هى القدرات :

١ — (الوعى القائم على الإقتناع العلمى النابع من الفكر المستنير والناتج عن المناقشة الحرة التى تتمرد على سياط التعصب أو الإرهاب) وهذا ما يرشد إليه الدين القيم حين ينهى عن أن يتبع الإنسان ما ليس له به علم ويعتبر الإنسان مسئولا عن منافذ العلم فيه من سمع وبصر وقلب قال تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) ثم يدلنا على المنهاج العلمى السليم من استماع سائر الأقوال ووزنها بالبحث والنظر والمناقشة الحرة الخالية عن التعصب لاتباع الأحسن بعد المعرفة قال تعالى (والذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب)

٢ — (والحركة السريعة الطليقة التى تستجيب للظروف فى

مجابهة النضال مع الارتباط بأهدافه ومثله الأخلاقية) فالاستجا
للظروف تتضح فى قوله تعالى (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرا
حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم) فإذا انتهك الأعداء حرم
المسجد الحرام بالقتال فيه فلا نقف جامدين بل نبادلهم القتا
استجابة لهذه الظروف على وجه السرعة . أما رعاية المثل الخلقي
والأهداف فهى مثالية حرص عليها الميثاق وتتضح فى قوله تعالى
(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله
واعلموا أن الله مع المتقين) فهو أمر بالقصاص مع مراعاة مثله
وأخلاقهم المعبر عنها (بتقوى الله) .

٣ — (أما الوضوح فى رؤية الأهداف وتجنب الانسياق
الانفعالى) فذلك أساس عام فى التثبت والتبين قبل الحكم على
الأشياء وعدم التأثر بالانفعالات التى يؤدى التأثر بها إلى الابتعاد
عن الطريق القويم ثم الندم فيما بعد وهذا يتضح من قوله تعالى
(يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوم
بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) هذه فقرات تصور المبادى
التى قام عليها الميثاق وتبين أنها تلتقى بمبادىء الإسلام وهكذ
ينص الميثاق فى بابه الثامن مع التطبيق الاشتراكى ومشاكل
(إن العمل الإنسانى الخلاق هو الوسيلة الوحيدة أمام المجتمع لكى
يحقق أهدافه . العمل شرف . والعمل حق . والعمل واجب

والعمل حياة . إن العمل الإنسانى هو المفتاح الوحيد للتقدم .
إن العمل الوطنى المنظم القائم على التخطيط العلمى هو طريق الغد)
وهذا هو الإسلام يجعل العمل رأس المال قبل كل شيء قال عليه
السلام (جعل رزقى تحت ظل رمحى) وقال تعالى (هو الذى جعل
لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) والقرآن
يدفعنا إلى العمل دفعاً فقال (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله
والمؤمنون) وقوله (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض
وابتغوا من فضل الله) والعمل فى الإسلام مطلق واسع الرحاب
غير مقيد بإطار طالما ليس فيه إضرار بالغير ، والإسلام حين
يفتح باب العمل على مصراعيه أمام المسلمين كافة إنما يدفعنا
للكسب الحر النظيف فى تجارة ورزق كبير قال تعالى (لإيلاف
قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت
الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) كما أمرنا أن نسلك
طريق الزراعة لنطعم وننعم قال جل شأنه (فلينظر الانسان إلى
طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حباً
وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعاً لكم
ولأنعامكم) ووجهنا للصناعة وما فيها من أهمية ويشير إلى صناعة
الحديد (فيه بأس شديد ومنافع للناس) وقال تعالى (وعلمناه
صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم) وقال تعالى فى صناعة

الملابس (قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوءاتكم وريشا) والله يجعل العاملين مراتب بحسب العمل قال تعالى (ولكل درجات مما عملوا) وقال (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) .

ويقول الميثاق (إن الديمقراطية السياسية لا يمكن أن تنفصل عن الديمقراطية الاجتماعية ولا يمكن أن تتحقق الديمقراطية السياسية فى ظل سيطرة طبقة من الطبقات والصراع الحتمى يكون حله سلميا فى إطار الوحدة الوطنية وعن طريق تذويب الفوارق بين الطبقات) وإننا لنلمح ذلك فى الإسلام حينما دعا إلى أن تكون ملكية الأرض وموارد الثروة ومصادر الإنتاج موزعة على صعيد شعبى متقارب الفوارق أما إذا صار الملك والغنى فى جانب والفقر والضعة فى جانب آخر فالديمقراطية السياسية سراب لا حقيقة له قال تعالى (كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم) وقوله تعالى إلى جانبه (وأمرهم شورى بينهم) إذ لا يكمل أن يكون الأمر شورى فى أمة ما إلا إذا كان أفرادها ذوى أنصبة فيما يديرون الرأى فيه .

وينص الميثاق على (أن التنظيمات الشعبية وخصوصا التنظيمات التعاونية تستطيع أن تقوم بدور مؤثر وفعال لتمكين الديمقراطية السليمة) وهكذا أفسح الثوار الطريق أمام التعاون ليؤدى رسالته

المستمدة من تعاليم الدين القيم ولتحقيق دعوته التى هى قبس من تلك الدعوة السماوية التى تأمر الإنسان بفعل الخير فأشار الميثاق إلى التنظيمات التعاونية والعمل على تنميتها وازدهارها باعتبارها من أجهزة الدولة الديمقراطية الاشتراكية وقد تجلت دعوة الإسلام لها وحثه عليها فى قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقوله جل شأنه (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) .

● ويذكر الميثاق أن (الحرية وحدها هى القادرة على تحريك الإنسان إلى ملاحقة التقدم وعلى دفعه . والإنسان الحر هو أساس المجتمع الحر وهو بناؤه المقتدر . ولا بد أن يستقر فى إدراكنا أن القانون فى المجتمع الحر خادم للحرية وليس سيفا مصلتا عليها) لقد أجمع العلماء على أن للفرد فى الجماعة الإسلامية حقوقا وحريات لا يملك الحاكم أن يمسها أو ينال منها بغير حق بل إن الحرية ركيزة من ركائز العقيدة الاسلامية وإن الحفاظ على كرامة الفرد وحريته أصل إسلامى لا يتصور إهداره بغير إهدار روح الإسلام نفسه فمكانة الفرد فى الجماعة الاسلامية هى المكانة الرفيعة التى وضعه فيها خالقه حيث يقول (ولقد كرمنا بنى آدم) وقوله جل شأنه (وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة) وأول القيم فى الدين الاسلامى (الحرية) إذ جاء الاسلام لتحرير

الانسان من العبودية فالحرية الدينية والحرية السياسية والحرية الفكرية والحرية الشخصية كل أولئك قيم جليلة كفلها الاسلام وحاطها بسياج من التشريع بشرط واحد هو ألا تنتهى هذه الحرية إلى الفوضى التى تضر بمصلحة الفرد والجماعة والقرآن يقول فى الحرية الشخصية (فلا عدوان إلا على الظالمين) أما حرية المساكن فقد قررها بقوله تعالى (يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا) أما الحرية الدينية فقررها بقوله تعالى (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) .

• وينص الميثاق على مقاومة التمييز العنصرى (إن إصرار شعبنا على مقاومة التمييز العنصرى هو إدراك سليم للمغزى الحقيقى لسياسة التمييز العنصرى فإن التمييز بين الناس على أساس اللون هو تمهيد للتفرقة بين قيمة جهودهم) والإسلام يقرر أن الناس جميعا متساوون فى طبيعتهم البشرية وأن ليس هناك جماعة تفضل غيرها بحسب عنصرها الإنسانى وخلقها الأول وانحدارها من سلالة خاصة وأن التفاضل بين الناس إنما يقوم على أمور أخرى خارجة عن كل ما سبق فيقوم على أسس كفايتهم وأعمالهم ومايقدمه كل منهم لربه ونفسه ومجتمعه والإنسانية جمعاء وفى هذا يقول الله تعالى (يأيها

الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) وهكذا يقرر ذلك سيدنا رسول الله عليه السلام فى خطبة الوداع فيقول : (أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب وليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى) ويذهب ديننا فى تقديس كرامة الإنسان بغض النظر عن لونه وجنسه وعقيدته إلى الأمر بمعاملة المجوس كمعاملة الكتابيين قال عليه السلام : (سنوا بهم سنة أهل الكتاب) ومعاملة الرقيق بالرفق قال تعالى : (اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم)

● ويذكر الميثاق حرية العقيدة فيقول : (إن حرية العقيدة الدينية يجب أن تكون لها قداستها فى حياتنا الجديدة الحرة) .

وقد بالغ الإسلام فى تقديس حرية العقيدة الدينية حتى منع إكراه الناس على رأى ولو كان هذا الرأى هو الإسلام نفسه قال تعالى (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) وقال جل شأنه (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ولم يقف الاسلام عند تقرير هذه الحرية بل قرر لأهل الكتاب حرية كاملة فى أن يعبدوا الله على طريقتهم دون أن يكونوا فى ذلك هدفا لسخرية أو موضعا لأذى فقال عليه السلام (من آذى ذميا فقد آذانى) وقال (من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة)

ومما يدهش له أن اللجنة المركزية لمجلس الكنائس العالمي التي تضم ممثلي مائتي كنيسة في أكثر من خمسين دولة شرقية وغربية أصدرت خلال اجتماعها في باريس قرارا أشادت فيه بالميثاق الوطني واعتبرت اللجنة الميثاق (نبراسا لتقدير رسالة الدين ومبادىء الحرية الدينية وقواعد العدالة الاجتماعية) كما جاء في قرار اللجنة أن (الميثاق يعتبر عملا إنسانيا يقدس حرية العقيدة ويرسى قواعد العدالة الاجتماعية على أسس قومية من الحق والخير ويرفع حقوق الانسان فوق مستوى المآرب السياسية والمصالح الذاتية)

• وينص الميثاق على حرية التعبير بقوله : (إن ممارسة النقد والنقد الذاتي يمنح العمل الوطني دائما فرصة تصحيح أوضاعه وملاءمتها مع الأهداف الكبيرة للعمل) .

وكما نص الإسلام على مشاورة الحاكم للرعية قال تعالى : (وشاورهم في الأمر) فقد جعل مناصحة الرعية للحاكم واجبا عليها لذلك فرضه الله على المؤمنين فرض كفاية قياماً بأصل من أصوله هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى : (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) .

وتقبل الصحابة مناصحة الرعية وتوجيهها بصدور رحبة ونفوس راضية حتى قال عمر رضى الله عنه : (رحم الله امرأ أهدى إلينا عيوبنا) فوضعوا توجيه الرعية في موضعه الصحيح والحق أن إدراك هذا الدور الذي تؤديه حرية التعبير والنقد الذاتي في

صيانة النظام الديمقراطى وجعل الرأى العام على بصيرة كاملة بمجريات المسائل العامة يجعلنا نؤمن بدعوة الإسلام له فهو مشاركة فى تبعات الحكم ووسيلة إلى تحرى الحق ومعرفة الصواب من الأمر .

• وينادى الميثاق بالمساواة بين الرجل والمرأة فيقول : (إن المرأة لابد أن تتساوى بالرجل ولا بد أن تسقط بقايا الأغلال التى تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع أن تشارك بعمق وإيجابية فى صنع الحياة) .

ولقد شمل الإسلام المرأة بعطفه ورعايته فى جميع شئون الحياة وسما بها إلى منزلة رفيعة لم تصل المرأة إلى مثلها بل لم تصل إلى ما يقرب منها فى أية شريعة أخرى من شرائع العالم قديمة ومتوسطة وحديثة وسوى بينها وبين الرجل فى القيمة الإنسانية المشتركة وفى الحقوق المدنية وفى الحقوق العامة وخاصة حق التعليم وحق العمل ولم يفرق بينهما إلا حيث تدعو إلى هذه التفرقة طبيعة كل من الجنسين وما يصلح له ومراعاة الصالح العام وصالح الأسرة وصالح المرأة نفسها قال تعالى (فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) .

وقال جل شأنه : (يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) وقال تعالى : (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة)

فللمرأة من الحقوق فى نظر الإسلام مثل ما عليها من الواجبات وللرجل مثلها واجبات بمقدار ماله من حقوق وحتى الدرجة التى منحها الله له وجعل له القوامة على الأسرة بسببها ليست حقا خالصاً من الواجبات .

• وينص الميثاق على حق الطفولة فيقول : (إن الطفولة هى صانعة المستقبل ومن واجب الأجيال العاملة أن توفر لها كل ما يمكن لها من تحمل مسئولية القيادة بنجاح) وإننا لنسمع صوت الاسلام ينادى بحماية الطفولة ويدعو إلى رعايتها والعناية بتعليمها وتأديبها وعطف قلوب الآباء والأمهات على أبنائها وجعلها زينة الحياة الدنيا وشرع لها من الحقوق مالم تدركه أوروبا إلا فى أواخر القرن السابع عشر ولا يتسع المجال للإفاضة فيما قرره الاسلام للطفولة من حقوق توفرلها الحياة الكريمة المطمئنة قال عليه السلام : (أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله) وقال صلوات الله عليه : (من كان له صبى فليتصاب له) وهكذا نرى الاسلام قد أنصف الطفولة فمنع وأدها وقتلها قال تعالى : (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم) ونراه حررها مما كانت تعانيه من عسف وقسوة ثم أخذ يوصى بهم قال عليه السلام : (إلزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم) .

• وينص الميثاق على حماية الأسرة فيقول : (إن الأسرة هى الخلية

الأولى للمجتمع ولابد أن تتوافر لها كل أسباب الحماية التى تمكنها من أن تكون حافظة للتقليد الوطنى) وللأسرة فى الإسلام مكانتها المقدسة ولذلك رتب شئونها وجعلها تعيش فى إطار من التكافؤ والمودة والتراحم ورسم لها خطوطا عريضة للوئام والوفاق وتجنب الشقاء والشقاق لأنها الخلية الأولى التى إذا صلح أفرادها صلح المجتمع كله قال تعالى : (يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) وقوله جل شأنه (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) ثم عاد الاسلام بعد ما أكد رابطة الألفة ووشيجة المحبة والرحمة بين الزوجين ليدعو الأبناء للبر بالوالدين قال تعالى : (ووصينا الإنسان بوالديه) . وقوله تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) وواجب الأب وواجب الأم معا أن يقررا فى حياة المنزل بينهما وفيما بين أولادهما سلوكا يقوم على الإيثار والتعاون الفكرى والعملى وأن تنشىء كل أسرة بنيها وبناتها على النظام العادل الأمين الذى يستمد تعاليمه من الدين وقد قال عليه السلام : (ما نحل والد ولده نحلة أفضل من أدب حسن) وإن أفضل الأدب وأنفعه أن يتلقى الناشىء فى أحضان

الأسر الواعية الصالحة تربية سليمة وتوعية وطنية ثابتة لتتوافر للأسرة أسباب الحماية وقد قال عليه السلام : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها) وبهذه الرعاية تكون الأسرة الصالحة التى يرضاها الاسلام ويوضح معالمها دستور الثورة فتكون دعائمها الخلق والدين والوطنية .

• ويقرر الميثاق عن السلام (إن شعبنا يعتقد فى السلام كمبدأ ويعتقد فيه كضرورة حيوية ومن ثم لا يتوانى عن العمل من أجله مع جميع الذين يشاركونه نفس الاعتقاد) .

إن السلام إذا كان مبدأ الثورة بنص الميثاق فهو شعار المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها منذ ظهور هذا الدين الكريم حتى اليوم وهو من أعظم القيم الدينية حتى قيل إن الإسلام من السلام الذى هو ضد العدوان سلام بين العبد وبين نفسه وبينه وبين الله تعالى وبينه وبين غيره من الناس والإسلام دين يدعو إلى السلام ويضع هذه القيمة على رأس القيم التى فيها صلاح العالم خيره والآخذ بيده وها هى ذى ومن ورائها الإسلام تنتصر فى العالم لأنها الحق قال تعالى (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) فمن جاء مسالما ينبغى أن نتعاون وإياه وبهذا التعاون يتم التآلف ويقوم العمران قال تعالى : (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) .

وإذا كانت تحيتنا فى هذه الحياة وعلى هذه الأرض (السلام عليكم) وهى شعارنا الذى نهتدى به فهى شعار أصحاب الجنة فى الآخرة لأنها أعظم قيمة ينالها المرء فى دنياه وآخرته قال تعالى : (دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام) وقد دعانا الاسلام إلى أن نهتدى بالسلام فى حياتنا وسلوكنا وأن نحمى سلامنا بالقوة إذا لزم الأمر فهذه الآية الكريمة تشير إلى السلم المسلح فى قوله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)

● ويذكر الميثاق حق المواطن فى العدل فيقول : (كذلك فإن العدل الذى هو حق مقدس لكل مواطن فرد لا يمكن أن يكون سلعة غالية وبعيدة المنال على المواطن ، إن العدل لا بد أن يصل إلى كل فرد حر ولا بد أن يصل إليه من غير موانع مادية أو تعقيدات إدارية) .

ولقد حرص الإسلام على توفير العدل لجميع المسلمين بل جعل العدالة واجبا إنسانياً عاما تعيش فى قانونه الإنسانية كلها على هدى مستقيم لا عوج فيه وعندما نتجه إلى نصوصه يواجهنا قول الله سبحانه : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) ويواجهنا قوله تعالى : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا

بالعدل) بل إن العدالة الإسلامية تعم العدو والولى على السواء قال تعالى (ولا يجرمنكم شنآن (عداء) قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى) بل جعل العدالة حقا للضعيف والقوى والجاهل والعالم والدول المتقدمة والدول المتخلفة فليس للمتقدم حق فوق حق المتخلف فى الوجود وإن الأحاديث النبوية تدعو إلى العدل فقد قال عليه السلام عن ربه : (ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا) وإن النبي عليه الصلاة والسلام ليصرح بأن كل عمل يقبل الغفران إلا ظلم العباد فإن الله لا يغفره إذا لم يسامح العباد الذين وقع الظلم منهم وإن الإسلام قد وضع بالنسبة للعدالة المطلقة فى داخل البلاد وفى علاقات الدول نظاما لم يشهد العالم مثله عدلا .

● وينص الميثاق على حق كل مواطن فى العلم فيقول (حق كل مواطن فى العلم بقدر ما يتحمل استعداده ومواهبه إن العلم طريق تعزيز الحرية الإنسانية وتكريمها كذلك فإن العلم هو الطاقة القادرة على تجديد شباب العمل الوطنى وإضافة أفكار جديدة إليه كل يوم وعناصر قائدة جديدة فى ميادينه المختلفة)

ولم يسبق الإسلام دين وقف من العلم كموقف الإسلام من الدعوة إليه والإشادة بفضله فأول ما نزل من القرآن على النبي الأمى عليه السلام : (إقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) .

وفى القرآن والسنة من الإشادة بفضل العلماء ما يلفت النظر إلى سمو مكانة العلم فى الإسلام قال تعالى : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم) وفى الحديث عن النبي عليه السلام : (يوزن مداد العلماء ودماء الشهداء يوم القيامة) ويدل على فضل العلم قوله عليه السلام : (قليل العلم خير من كثير العبادة) ويحث الله تعالى على طلب العلم بقوله : (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ويقول النبي الكريم : (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) وقال عليه السلام فى فضل الرحلة فى طلب العلم : (من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع) ولا يرى الإسلام أن للعلم حداً ينتهى عنده العالم فقال تعالى : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) فليأخذ كل بقدر طاقته ويرى العلماء أن العلم المطلوب فى الشرع نوعان : (ما هو فرض عين) وهذا واجب على كل مكلف ومنه : (ما هو فرض كفاية) وهو واجب على جميع المكلفين لا فرداً بذاته وما عدا هذين النوعين فهو (مندوب أو مباح) ونتيجة ذلك كله أن العلم فى الإسلام هو شرف وواجب وحق فهو شرف، لما ذكرناه من النصوص التى تشيد بفضل العلم وترفع مكانة العلماء . وهو واجب لما ذكرناه من أن العلم إما فرض عين أو فرض كفاية . وهو حق فإن الإسلام يفرض على العالم أن يعلم وعلى الجاهل أن يتعلم كما قدمنا ولذا كان من الواجب على الإنسان أن يسعى لتحصيل العلم وعلى

الدولة والمجتمع أن تيسرا له الوصول إلى هذا الحق فهو من الحقوق الطبيعية فى الإسلام .

وأخيرا نستطيع بعد هذه الجولة أن نشير إلى حقيقة ثابتة لا ندحة لنا من الإشارة إليها وهى أن الإسلام قد عنى بوضع تنظيم شامل للدولة وللمجتمع الذى تقوم عليه الدولة ، وضع هذا التنظيم فى صيغة مبادىء كلية وأصول عامة كما أسلفنا وعهد إلى العقل الإنسانى أن يبنى على هذه الأصول جميع الأوضاع والأجهزة التنفيذية التى تعنى بحاجات عصره على ضوء ظروف هذا العصر بشرط أن يكون هذا البناء دائماً فى إطار هذه الأصول العامة وكانت تبعة كل جيل فى كيفية تطبيق هذه الأصول العامة والتعاليم الكلية وارتياد الوسائل العملية التى تضع هذه التعاليم موضع التنفيذ — كانت تبعة كل جيل فى هذا الشأن تبعة كبيرة ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن جيلنا كان من أصدق الأجيال فى حمل هذه الأمانة فإن مشروع الميثاق الوطنى الذى قدمه السيد الرئيس المفدى جمال عبد الناصر للأمة العربية ولكل أمة إسلامية تريد أن تهتدى بهديه هو تطبيق عملى لتعاليم الاسلام الكلية تطبيقا يلبى مطالب هذا العصر .

ولنوضح ما نشير إليه نقول إن الاسلام عنى بوضع هذه التعاليم الكلية فى فضائلها الثلاث من خلقية واقتصادية وسياسية . تعاليم سياسية صريحة إلى جانب تعاليم اقتصادية حاسمة حتى تتفاعل

هذه التعاليم مع التعاليم الخلقية فيستقيم أمر المجتمع الانسانى إلى أبد الدهر .

وهذه التعاليم بفروعها الثلاثة تتساند وتتفاعل معا فى تنظيم المجتمع وهذا التساند والتكامل فى التعاليم الإسلامية بفروعها الثلاثة هو ميزة النظام الإسلامى على جميع النظم السابقة أو المعاصرة. وهذه آية كريمة تبرز لنا مدى هذا التساند والتكامل قال تعالى (والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون . والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون) فالشورى فى الآية (وأمرهم شورى بينهم) هى الدعامة الأساسية للديمقراطية السليمة ويحفها من اليمين بتعاليم أخلاقية رفيعة يلتزمها المواطنون جميعا (والذين يجتنبون كبائر الاثم . . . إلخ) ومن اليسار باتجاه اقتصادى معين يهدف إلى توجيه سياسة الحكم إلى البر بالمواطنين (ومما رزقناهم ينفقون) وهو أساس الاشتراكية الرشيدة . والفقرة الأخيرة (والذين إذا أصابهم البغى . . . الخ) تنقلنا إلى نطاق داخلى ودولى معا فإذا أصاب مجتمعنا عدوان من مجتمع آخر فهو ينهانا عن الاستسلام ويأمرنا بصد العدوان وإعداد القوة لدفعه حتى ننتصر على البغى وهكذا تقترن الديمقراطية السياسية بديمقراطية اقتصادية وبنهج أخلاقى يلتزمه المواطنون وإلا كانت ديمقراطية زائفة فاشلة .

خاتمة

ولو أن باحثاً تتبع كل كلمة فى هذا الميثاق وكل مبدأ قام عليه وأراد أن يرجعها إلى نظائرها من كتاب الله وسنة رسوله لاستطاع أن يأتى فى ذلك بما يطمئن القلوب ويشفى الصدور ويوضح السبيل القويم الذى سلكه معلمنا الأكبر فيلسوف الثورة المؤمنة جمال عبد الناصر فى التعبئة الروحية بالميثاق . ولا عجب فى أن يسلك بنا البطل المؤمن (جمال) هذا المسلك ليجدد ديننا وقيمنا الروحية ويربى أبناءنا تلك التربية الخلقية والدينية التى نالت أكبر قسط من عناية الأمم الإسلامية ومفكريها فكان التفقه فى الدين والتحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل أسمى غايات التربية الإسلامية وفى هذا يقول عليه السلام : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) وللتربية الروحية فى النظم الإسلامية وسائل نظرية وأخرى عملية :

أما الوسائل النظرية فتتمثل فى شرح الفضائل والرذائل وتحبيب الفضائل إلى النفوس ببيان محاسنها وما لها من آثار نافعة فى حياة الأفراد والجماعات ، والتنفير من الرذائل ببيان مساوئها وما لها من آثار ضارة هدامة قال تعالى : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) .

وأما الوسائل العملية فهى أهم بكثير فى نظر الإسلام من الوسائل النظرية وهذه الوسائل العملية هى :

الأولى : أن تبث الأخلاق عن طريق القدوة الصالحة ومحاكاة

السلوك الفاضل وفى هذا يقول الله تعالى (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) .

الثانية : تتمثل فى أخذ الصبي وغيره بمزاولة الفضائل الخلقية والواجبات الدينية مزاولة عملية حتى تصبح هذه الفضائل وهذه الواجبات عادة وطبيعة له وفى هذا يقول عليه السلام (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر) .

الثالثة : تتمثل فى إبعاد المؤثرات الضارة بالأخلاق ومن ثم يرى مفكرو الإسلام أنه من الواجب أن يستبعد من الدراسة فى المراحل الأولى الأدب المكشوف والخليع شعره ونثره وقصصه لما يحدثه هذا اللون من الأدب من أثر سيء فى أخلاق النشء (روهم من الشعر أعفه ومن الحديث أشرفه)

ولعلنا جميعاً ندرك أن باعث نهضتنا وحارس قيمنا الروحية (رئيسنا جمال) قد أخذنا بهذه الوسائل الإسلامية فى شحن أرواحنا بالتوجيه الإنسانى وإعدادنا للسير فى طريق السلوك القويم لتحقيق القيم الأخلاقية أو الروحية أو الإنسانية الفاضلة المستوحاة من توجيهات الدين وتعاليمه .

وهكذا نلمس فى الميثاق نفحة من الروحانية المتدفقة ونحس انعكاسة نورانية متوهجة لتلك العقيدة المتينة المتغلغلة فى قلب صاحب الميثاق ونشعر بأن (عبد الناصر) لم يكن هو الذى يتحدث

بالميثاق فى غلالة الإشراق المؤمن ورواء الإسلام الهادف ولكن المتحدث به كان حقاً أمل أمة ورجاء شعب ولسان نهضة وعنوان بعث وصوت تاريخ ، إنه انتفاضة اليقظة وومضة الوعى وانطلاقة القـــائد لامته العربية إلى آفاق المستقبل الباسم والغد المشرق السعيد . .

مشروع الميثاق، نسخ

بحث للأستا

بحث للأستا

بحث للأست

بحث للسيد



١٥٧ شارع عبيد ـ روض الفرج

تليفون ٤٠٧٥٣ ـ ٤١٠١٢

٤٠٥٨٨ ـ ٤٠٨١٤



١٥٧ شارع عبيد ــ روض الفرج

تليفون ٤٠٥٨٨ ــ ٤٠٨١٤
٤١٠١٢ ــ ٤٠٧٥٣

العـدد ٨٣ الثمن ٢٠ مليما